

كلمة في المنهج

إن المنهج الذي يتبعه جل المستشرقين في دراساتهم للإسلام عامة ، والوحي القرآني خاصة يقوم على مسلمة - بالنسبة لهم - تلك هي : أن محمداً « ﷺ » ليس نبياً يوحى إليه، ثم يسيرون في هذا الاتجاه للتدليل على صحته، ولاشك أن هذا حكم أو نتيجة وضعوها وحدودها قبل وضع المقدمات ، ومع هذا يحاولون إلباس مناهجهم - المدعاة - ثياب العلمية والمنهجية والموضوعية .

فالمستشرق الألماني « رودى بارت » يقول : « ... فنحن معشر المستشرقين ، عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها قط لكي نبرهن على ضعة العالم العربي الإسلامي ، بل على العكس ، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة . ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نعمل فيه النظر ، بل نقيم وزناً فحسب لما ثبت أمام النقد التاريخي أو يبدو وكأنه يثبت أمامه ، ونحن في هذا نطبق على الإسلام وتاريخه ، وعلى المؤلفات العربية التي نشغل بها المعيار النقدي نفسه الذي نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن » (١) .

ما ذهب إليه « بارت » لا غبار عليه ، إلا ما يبدو أنه خلط بين العقيدة الإسلامية والفكر الإسلامي فهل يصح وضع العقيدة بجوانبها الغيبية على محك البحث والنظر العقلي ؟ والعقل البشري ناقص ، وإذا أجاب بارت : بنعم . فهل يقبل أن نضع العقيدة النصرانية على نفس المحك ؟ أم أن عقيدتهم من الغيبيات فلا تعرض على العقل ومن ثم يؤمن بها وهو مخمض العينين ؟

على كل حال « القوم يدرسون العلوم الإسلامية العربية ، ويضعون نظريات ويكونون آراء في أثناء ما يقومون به من دراسات ، ويهتمون بتقديم أدلة وأسانيد لهذه الآراء والنظريات ، يستمدونها من المراجع الإسلامية نفسها ، وهذا العمل في ظاهره عمل علمي سليم . ولكن عند الفحص الدقيق أثبت أن كثيراً منه مصنوع ، وكثيراً ما يكون الدافع إليه الرغبة في التجريح ، وتوهين العقيدة الدينية والشريعة الإسلامية » (٢) .

يقول ليوبولد فايس (محمد أسد) : « ... أما تحامل المستشرقين على الإسلام فغريزة موروثية ، وخاصة طبيعية تقوم على المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية ، بكل ما لها

١ - بارت : الدراسات العربية ... ص ١٠ مصدر سابق .

٢ - تاريخ الإسلام قرونه الأولى - ص ٣٢ - ١٩٧٠ .